قواعد التّرتيل وأثرها في حفظ اللّسان العربيّ

باب التفخيم والترقيق أنموذجا

الدكتور عبد الكريم حمادوش

جامعة الجيلالي بونعامة. خميس مليانة

كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية

تاريخ الاستلام: 2019/05/13 تاريخ القبول:11/19م2019

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان أهمّية قواعد التّرتيل في حفظ اللّسان العربيّ من جهة نطق حروفه – مفخّمة أو مرقّقة - نطقا سليما؛ وذلك بتسليط الضّوء على بيان مرادفات مصطلح "التّرتيل" في القرآن الكريم وأنّ موضوع قواعد التّرتيل لا يقتصر على الكلمات القرآنيّة فحسب، مع إبراز ما تميّز به القرآن الكريم على اللّسان العربيّ باعتبار المستوى النطقيّ والصوتيّ، وعرض لباب التّفخيم والتّرقيق عند علماء التّجويد.

الكلمات المفتاحية:

القواعد، التّرتيل، القراءة، التّلاوة، اللّسان العربيّ، التّفخيم، التّرقيق، التّجويد، الحروف.

:Abstract

This research aims to bring out the importance of the slow recitation rules in preserving the Arabic language as regards the right pronunciation – thickening or thinning -; through highlighting the synonyms of the term "slow Recitation" in the Holy Quran. The theme of Recitation rules does not only concerns the Quran words, emphasizing the distinguishing character of the Holy Quran regarding the Arabic language taking into consideration the pronunciational and phonetic sphere, as well as demonstrating the chapter of thickening and thinning for the Scholars of Tajweed.

:Keywords

Rules, slow recitation, reading, recitation, Arabic language, thickening, thinning, Tajweed, letters.

مقدمة:

إنّ المعلوم من متواتر الأخبار ومشتهر الآثار أنّ قواعد التّرتيل من القضايا التي اهتمّ بها المنظّرون المتقدّمون منذ البدايات الأولى لزمن التّأليف في علوم القرآن عموما، لأنّهم أدركوا – جيّدا – قيمتها وأهمّيتها، وقد تداول العلماء منذ القديم هذا الموضوع عرضا ودرسا، سواء في كتبهم التي ألّفوها في علوم اللّغة، أم تلك التي كانت تتناول علمي القراءات والتّجويد، ولما كانت الصّورة الأمثل للّسان العربيّ تتجلّى في النّص القرآنيّ؛ فإنّه هو أحقّ ما يمكن أن نبرز أثره وأهمّيته في حفظ اللّسان العربيّ، ولأنّ مقام هذا البحث يقتضي الاختصار؛ فإنّني سأقتصر على ذكر جانب من جوانب مظاهر حفظ القرآن الكريم للّسان العربيّ؛ ألا وهي قواعد التّرتيل في أهمّ أبوابها، ألا وهو باب التّفخيم والتّرقيق، والذي به يتمّ العمل المقصود، ويتحقّق الهدف المنشود، ولا يحول بينك وبينه إلا ما جعل

تمهيدا له؛ وهو تحديد مفاهيم بعض مصطلحات العنوان، مما جرت العادة العلميّة والأعراف الأكاديميّة باقتصاص مثله في أمثالها.

أولا: تحديد مفاهيم بعض مصطلحات العنوان.

يعتبر كلّ من ضبط المصطلحات العلميّة، وتحديد مفاهيمها، وبيان دلالاتها، ضابطا محكما في حلّ الإشكالات التي تثيرها هذه المصطلحات بناء على اختلاف الرؤى والأفكار، مما يترتّب عليه اختلاف في النّتائج، وبون في الأحكام، ولذلك عنّ لي أن أمهّد للبحث ببيان مفاهيم بعض مكوّنات العنوان والتّعريف بها وفق ما يلي:

أ – تعريف قواعد التّرتيل.

التّرتيل لغة هو مصدر للفعل: "رتّل"، فالرّاء والتّاء واللّام، جذر يدل على التّنسيق والتّرتيب، يقال: ثغر رتل أي: منتظم الأسنان، بين كل سنّ وسنّ فواصل دقيقة على نسق ونظام مرتّبَين، وإذا حمل على الكلام فهو حسن الأداء، كما يحمل أيضا معنى التّمكّث، والتّرسّل والتّمهّل والتّبيّن والتّمكين والتّحقيق[1].

وأما اصطلاحا فهو: التّأني في القراءة مع تفصيل الكلم بعضها من بعض، جامعا لشرائط التّجويد والتّقويم[2].

وقيل: هو القراءة بتؤدة وطمأنينة، مع تدبر المعاني ومراعاة الأحكام، وبالتّرتيل نزل القرآن الكريم، قال تعالى: چ ي يچ **الفرقان**: ٣٢، وهو واجب على كل من قرأ القرآن الكريم، قال تعالى: چث ث ثچ **المزمل**: ٤[3].

والمقصود بقواعد التّرتيل: تلك الأحكام المبيّنة لكيفيّة قراءة القرآن الكريم، قراءة سليمة؛ كما أنزل على سيّدنا محمد × ، سواء أكانت الحروف منفردة؛ وذلك من جهة مخارجها وصفاتها، أم كانت مركّبة؛ وذلك من جهة ما يترتّب عن تركيب الحروف في كلمة واحدة، أو ما يترتّب عن وصل الكلمات بعضها ببعض كالإظهار، والإدغام، والإخفاء، والقلب، والمدّ، والإمالة، ونحو ذلك.

ب - تعريف اللّسان العربيّ:

اللّسان في اللّغة هو عضو عضليّ مرن، معقّد التّركيب، مغطّى بغشاء مخاطيّ، ويتكوّن من مجموعة من العضلات التي تمنحه قدرة فائقة على الحركة السّريعة في اتّجاهات مختلفة، مما يجعله يسهم بدور كبير في إنتاج الأصوات اللغويّة، حتى سمّيت اللّغة باسمه[4].

قال ابن سينا: "هو من آلات تقليب الممضوغ، وتقطيع الصّوت، وإخراج الحرف، وإليه تمييز الذّوق"[5].

وقد قسّمه سيبويهِ إلى عدّة أقسام لتمييز مخارج الحروف فيه بدقّة، وهي: طرف اللّسان، ووسطه، وأقصاه وحافتاه؛ اليمنى واليسرى[6]، ونحا نحوه -في ذلك- أغلب علماء العربيّة والتّجويد.

أما اصطلاحا فالمراد في هذا البحث هو أن يكون اللّسان مرادفا للّغة؛ وهو بذلك عبارة عن أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم[7]، وقد ورد ذكر **اللّسان العربيّ** بهذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى: چپ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ چ **النحل**: ١٠٣[8].

وبه نزل القرآن الكريم، قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ **الشعراء**: ١٩٢ - ١٩٥.

والمقصود بحفظ اللّسان العربيّ: حفظ اللّغة العربيّة، من حيث نطق حروفها وكلماتها بشكل صحيح.

ثانيا: مرادفات التّرتيل في القرآن الكريم.

لقد شاع بين أهل صنعة القراءات والتّجويد استعمال لفظ "التّجويد" أو عبارة "علم التّجويد"، للدّلالة على تلك القواعد المبيّنة لكيفيّة قراءة القرآن الكريم قراءة سليمة، بل لا تكاد تخلو كتب المتأخّرين من ذلك وإذا أنعمنا النّظر في آيات القرآن الكريم، لم نجد أثرا لمصطلح "التّجويد"، وإنّما نجده يأمر بالقراءة وبالتّلاوة وبالتّرتيل.

أ – القراءة: لقد أمر الله عزّ وجلّ المؤمنين كافّة بقراءة القرآن الكريم، فقال عزّ وجلّ: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ **المزمل**: ٢٠، وقال أيضا في الآية نفسها: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ، وأمر النبيَّ × خاصّة باتّباع قرءاة جبريل عليه السلام، مع إضافة القراءة إلى نفسه عزّ وجلّ فقال: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ **القيامة**: ١٧ - ١٨.

ب – التّلاوة: لقد أضاف الله عزّ وجلّ تلاوة القرآن الكريم إلى نفسه فقال تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ **آل عمران**: ٥٨، وأمر النبيّ × بتلاوته، فقال تعالى: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭼ **الكهف**: ٢٧، وقال أيضا جلّ وعلا: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ **العنكبوت**: ٤٥، وهذا الأمر يشمل عامّة المسلمين، لأنّ العبرة هنا بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب.

وقد حكى القرآن الكريم على لسان سيّدنا محمّد × أنّ الله تعالى أمره بتلاوة القرآن الكريم فقال: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ **النمل**: ٩١ - ٩٢، كما أثنى الله عزّ وجلّ على الذين يتلون القرآن الكريم حقّ تلاوته -مثبتا لهم الإيمان- فقال **تعالى**: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﭼ البقرة: ١٢١.

ج – **التّرتيل**: أما التّرتيل فقد أضاف الله عزّ وجلّ ترتيل القرآن الكريم إلى نفسه فقال **تعالى**: ﭽ ﯓ ﯔﭼ الفرقان: ٣٢، وأمر نبيّه محمدا × بترتيله، فقال **تعالى**: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ المزمّل: ٤.

يتبيّن لنا مما سبق أنّ الله عزّ وجلّ أمر نبيّه محمّدا × وعباده المؤمنين بالقراءة وبالتّلاوة وبالتّرتيل، وبناء عليه فإنّنا نستطيع أن ننتزع من هذه الأوامر الثّلاثة أسماء لوصف هذه الأوامر، فنقول: **قراءة** القرآن الكريم **وتلاوة** القرآن الكريم، **وترتيل** القرآن الكريم، وهذا هو الأصحّ في التسمية، لثبوته بصريح النّص القرآنيّ[(9)].

أما مصطلح التّجويد فقد ورد عن الإمام عليّ ﷺ في تفسير قوله **تعالى**: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ المزمل: ٤، قال ﷺ: "التّرتيل: تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف"[(10)].

ثالثا: موضوع قواعد التّرتيل.

إنّ النّاظر في أقوال العلماء المعاصرين من خلال كتبهم في قواعد التّرتيل يجد أنّها تكاد تجتمع على أنّ موضوع قواعد التّرتيل[(11)] هو الكلمات القرآنيّة فقط، وقد أضاف بعضهم كلمات الحديث النبويّ الشّريف، ومن ذلك ما ذكره الشّيخ المقرئ محمود خليل الحصريّ رحمه الله تعالى: "موضوع علم التّجويد: الكلمات القرآنيّة من حيث إحكام حروفها، وإتقان النّطق بها، وبلوغ الغاية في تحسينها وإجادة التّلفظ بها وأضاف بعضهم الحديث، فجعله من موضوع علم

التّجويد، وعليه يكون موضوع علم التّجويد: الكلمات القرآنيّة والأحاديث النبويّة، فحينئذ يجب في قراءة الحديث ما يجب في قراءة القرآن من إجادة التّلاوة، وإحكام الأداء، **ولكنّ الجمهور على أنّ موضوع علم التّجويد هو: القرآن فحسب**"[12].

وقد ذكر الشّيخ المقرئ عبد الفتّاح المرصفيّ -رحمه الله تعالى- كلاما نحوه في كتابه: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري[13]، **ولا شكّ** أنّ في هذا الحكم قصورا وإجحافا، بل وفيه تقليص من مجال نفع هذا العلم الجليل، لأنّ في ذلك انزواء لقواعده في دائرة تلاوة القرآن الكريم فحسب، **والحقّ أنّ أثره** يطال الحرف العربيّ حيث ما وقع، بل هو السّياج الواقي له، فتغيير المعنى الذي يحصل في الكلمة بسبب اللّحن الواقع في أحد حروفها؛ هو نفسه الذي يكون في قراءة القرآن الكريم، أو قراءة الحديث النّبويّ الشّريف، أو سائر الكلام العربيّ، وما نزل القرآن الكريم إلا بلسان عربيّ مبين، وما حدّث النبيُّ × إلا بلسان عربيّ مبين، فليس بين اللسان العربيّ والقرآن الكريم جفوة أو قطيعة، ولا بينه وبين الحديث النبويّ الشريف[14]، بل إن القرآن الكريم هو اللسان العربي بعينه، وإن أكمل صور اللسان العربي؛ نحوا وصرفا وبلاغة؛ إنما تتجلى في كتاب الله عز وجل، قال الراغب الأصفهاني: "فألفاظ القرآن الكريم هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"[15].

فالحاصل مما سبق أن موضوع قواعد الترتيل لا يقتصر عن الكلمات القرآنية فحسب، بل هو أوسع من ذلك وأشمل، قال المرعشي [ت: 1150هـ] في معرض حديثه عن موضوع علم التجويد: "قيل: موضوعه الكلمات القرآنية؛ يعني حروفها، **وفيه نظر، لأنه يُبحث فيه عن أحوال الحروف أينما وقعت**، فلعله

من علوم العربية، وداخل في التصريف"[16]، **وتجدر الإشارة هنا** إلى أن القرآن الكريم -باعتبار المستوى الصوتي- قد تميز عن اللسان العربي بأربعة أشياء: بتطويل زمني المد، وبالغنة، وبالسكت، وبالتغيم.

رابعا: الحروف العربية بين التفخيم والترقيق عند علماء التجويد.

يعدّ هذا الباب من أهم أبواب علم التجويد، وذلك لكثرة دورانه في ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ لا يخلو أي حرف من هاتين الصفتين، فالحرف إما أن يكون مفخما، وإما أن يكون مرققا، وقد آثرت الحديث عنه في هذا البحث دون غيره من أبواب علم التجويد؛ لكونه أبرز هذه الأبواب في بيان أثر قواعد الترتيل في حفظ اللسان العربي على المستوى الصوتي، وذلك لكثرة اللحن فيه عند القارئين، سواء عند قراءة القرآن الكريم، أم عند قراءة النصوص العربية؛ نثرا وشعرا.

التفخيم لغة: هو التعظيم، **واصطلاحا:** هو سمن يعتري الحرف، فيمتلئ الفم بصداه، وذلك لتَضَيُّق الحلق وتصعّد صوت الحرف إلى قبة الحنك، وهو مستحق الاستعلاء.

الترقيق لغة: هو النحول، **واصطلاحا:**هو نحول يعتري الحرف، فلا يمتلئ الفم بصداه، وذلك لعدم تَضَيُّق الحلق، وعدم تصعّد صوت الحرف إلى قبة الحنك، وهو مستحق الاستفال[17].

أقسام الحروف العربية باعتبار صفتي التفخيم والترقيق:

تنقسم الحروف العربية من حيث التفخيم والترقيق إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: حروف تفخم دوما.

وهي حروف الاستعلاء السبعة: (الخاء، الصاد، الضاد، الغين، الطاء ، القاف، الظاء) وهي مجموعة في عبارة: " **خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ** "، قال ابن الجزري:

..... وَسَبْعُ عُلْوٍ **خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ** حَصَرْ[18]

وقال ابن بري:

وَالِانْسِفَالُ فِي سِوَى هِجَاءِ **قِظْ خُصَّ ضَغْطٍ** ذَاتِ الِاسْتِعْلَاءِ[19]

ومعنى عبارة " **قِظْ خُصَّ ضَغْطٍ**": قم في القيظ [أي: في الحرّ]، وفي خُصٍّ ذي ضغط، أي: اقنع من الدنيا بمثل ذلك، وما قاربه، واسلك سبيل السلف الصالح في ذلك[20]، فهذه الحروف السبعة تفخم دوما، ولا ترقق في أي حال من الأحوال، وإنما تتفاوت في التفخيم باعتبار حركاتها أو صفاتها.

أما باعتبار صفاتها: فحروف الإطباق منها أعلى الحروف تفخيما، وهي: الطاء والظاء والصاد والضاد[21].

وأما باعتبار حركاتها: فقد اختلف العلماء في تحديد مراتب تفخيمها، وإن أوّل من عرض هذه المسألة من علماء التجويد؛ هو: أبو الأصبغ الإشبيلي؛ المعروف بابن الطحان [ت: 561هـ]، حيث جعلها ثلاث مراتب على النحو الآتي:

المرتبة الأولى: إذا كان حرف الاستعلاء مفتوحا.

المرتبة الثانية: إذا كان حرف الاستعلاء مضموما.

المرتبة الثالثة: إذا كان حرف الاستعلاء مكسورا[22].

أما ابن الجزري [ت 833هـ]، فقد جعلها خمس مراتب:

المرتبة الأولى: إذا كان الحرف مفتوحا بعده ألف، مثل: چ ﮒ چ **البقرة**: ١١ .

المرتبة الثانية: إذا كان مفتوحا من غير ألف مثل: چ ﯗ چ **آل عمران**: ١٦٤.

المرتبة الثالثة: إذا كان الحرف مضموما مثل: چ ﭧ چ **البقرة**: ٥٨.

المرتبة الرابعة: إذا كان الحرف ساكنا مثل: چ ﭢ چ **البقرة**: ٢٤٥.

المرتبة الخامسة: إذا كان الحرف مكسورا مثل: چ ﭡ چ **الفاتحة**: ٦، وهي أدنى مراتب التفخيم ولا يصح أن يقال: إن حرف الاستعلاء مرقق لأنه مكسور، إنما الصواب أن يقال: إنه في أدنى مراتب التفخيم[23].

القسم الثاني: حروف ترقق دوما.

وهي حروف الاستفال؛ وهي حروف الهجاء ما عدا حروفَ الاستعلاء السبعة، والألفَ اللينة، وحرفَي اللام والراء[24]، وحروف الاستفال هذه لا يصح تفخيمها أبدا، وليعتنى بها أكثر إذا اكتنف واحدا منها حرفان من حروف الاستعلاء.

القسم الثالث: حروف تفخم أحيانا وترقق أحيانا، وهي الألف اللينة، وحرفا اللام والراء.

أولا: الألف اللينة.

وهي الألف الساكنة بعد الحرف المفتوح، وحكمها من حيث التفخيم والترقيق حكم ما قبلها؛ فإن سبقها حرف مفخم فخمت تبعا له مثل: چ ﭺ چ الفاتحة: ٧، وإن سبقها حرف مرقق رققت تبعا له كذلك مثل: چ ﭙ چ الفاتحة: ٢ [25].

ثانيا: حرف اللام.

01 - لام لفظ الجلالة ﴿الله﴾ أو ﴿اللّهم﴾.

أ - حالات الترقيق:

* إذا سبقت بكسر مثل: ﴿بسم الله﴾.

* إذا سبقت بساكن مثل: ﴿قل اللهم﴾.

* إذا سبقت بساكن قبله كسر وحذف هذا الساكن لالتقائه مع ساكن آخر بعده، مثل: ﴿أفي الله شك﴾.

* إذا سبقت بتنوين مثل: ﴿أحد الله﴾، ﴿قوما الله﴾.

تنبيه: كل هذه الحالات يلفظ فيها الحرف الذي قبل لفظ الجلالة بكسر.

ب - حالات التفخيم:

* عند الابتداء بها لتَقدُّم فتحة همزة الوصل عليها، مثل: ﴿الله لا إله إلا هو﴾.

* إذا سبقها حرف مفتوح مثل: ﴿قالَ الله﴾، ولو حال بينهما ساكن يحذف وصلا؛ مثل: ﴿إلى الله﴾ ﴿وما الله﴾.

* إذا سبقها حرف مضموم مثل: ﴿عبدُ الله﴾، ولو حال بينهما ساكن يحذف وصلا ؛ مثل: ﴿وإذ قالوا اللهم﴾ ﴿كذبوا الله﴾.

تنبيه: كل هذه الحالات يلفظ فيها الحرف الذي قبل لفظ الجلالة بفتح أو بضم.

02 - اللام في غير لفظ الجلالة:

ذهب كثير من العلماء إلى أن الأصل في اللام الترقيق، قال الشيخ إبراهيم المارغني: «**وأما اللام فالأصل فيها الترقيق لوجوده فيها من غير سبب، بخلاف التغليظ، فإنه لا يوجد فيها إلا لسبب**»[26].

أ - حالات تغليظ[27] اللام عند ورش من طريق الأزرق:

* إذا كانت اللام مفتوحة، مخففة أو مشددة.

* إذا سبقت في الكلمة نفسها - من دون فاصل - بأحد الحروف التالية: الطاء، أو الظاء، أو الصاد.

* أن تكون هذه الحروف الثلاثة ساكنة، أو مفتوحة؛ مشددة أو مخففة.

ومثال ذلك: ﴿الصلاة﴾، ﴿الطلاق﴾، ﴿ظلم﴾، ﴿صلح﴾، ﴿يُظْلَمون﴾، ﴿مطلع﴾.

ب - الحالات التي يجوز فيها الوجهان؛ التغليظ والترقيق:

* إذا حال بينها وبين ما يسبقها من موجبات التغليظ ألف لينة نحو: چ ئۇ چ البقرة: ٢٣٣ **چيَصَّالَحَاچ** النساء: ١٢٨ ،چ ئا چ طه: ٨٦، چ ي چ الأنبياء: ٤٤، چ ي چ الحديد: ١٦ **ولا يوجد في القرآن غيرها**، والمقدم هو التغليظ؛ وصلا ووقفا، اعتدادا بقوة الحرف المستعلي، **وأما وجه الترقيق** فلأجل الألف الفاصل بين اللام وموجب التغليظ.

أما إذا اجتمعت مع مد البدل، كقوله تعالى: چ **ئۆ ئۆ ئۈ**...چ البقرة: ٢٣٣، فحكمها كما يلي:

مد البدل	فصالا
القصر	الترقيق
التوسط	الوجهان
الطول	الوجهان

والوجه الممتنع: هو قصر البدل مع تغليظ اللام.

* إذا وقف القارئ على اللام المتطرفة المغلظة وصلا، مثل: چ ﮎ چ البقرة: ٢٧، والرعد: ٢١، ٢٥ چ ﮋ چ البقرة: ٢٤٩، چ ﮊ چ الأنعام: ١١٩، چ ﮈ چ الأعراف: ١١٨، چ ﮋ چ النحل: ٥٨، الزخرف: ١٧، چ ﮧ چ ص: ٢٠، **ولا يوجد في القرآن غيرها**، والوجه المقدم هو التغليظ؛ اعتدادا بالحركة الأصلية، **وفيما عدا هذه الحالات فليس لورش في اللام إلا الترقيق.**

تنبيهان: الأول: لا يجوز الجمع بين التفخيم والتقليل ولا الترقيق والفتح، في اللفظ الواحد؛ فإذا قرئ لفظ چﮋ بالتقليل، تعين ترقيق اللام، وإذا قرأت بالفتح، تعيّن تغليظ اللام.

الثاني: وردت اللام التي اجتمعت فيها شروط التغليظ متبوعة بالألف المقلّلة في رؤوس الآي من السور العشرة[28]، في ثلاثة مواضع لا غير، وهي: چ ﮋ ﮌ ﮍ چ القيامة: ٣١، چ **بخ** بم چ الأعلى: ١٥ چ ﮋ ﮌ ﮍ چ العلق: ١٠، فهذه ترقق فيها اللام قولا واحدا لتقليل الألف التي بعدها.

ووردت في السور العشرة، وفي غيرها في غير رؤوس الآي، في سبعة مواضع وهي: چ ﮋ چ البقرة: ١٢٥، چ ﮋ چ الإسراء: ١٨، الليل: ١٥، چ**وَيُصَلَّى** چ الانشقاق: ١٢،

چئُوچ الأعلى: ١٢ چقّ چ الغاشية: ٤، چگ چ المسد: ٣، **فهذه فيها الوجهان:** التغليظ مع الفتح، والترقيق مع التقليل.

ثالثا: حرف الراء.

ذهب جمهور العلماء إلى أن الأصل في الراء التفخيم، لأنها لا ترقق إلا لسبب، أي لا تتحول من حال التفخيم إلى حال الترقيق إلا لسب معلوم، وذهب آخرون إلى أن الأصل فيها الترقيق، لأنها ليست من حروف الاستعلاء، قال الشيخ المارغني: «**واعلم أنه اختلف هل الأصل في الراء التفخيم أو الترقيق؟ فذهب الجمهور إلى الأول، وذهب بعضهم إلى الثاني**»[29].

وجملة أحكام الراء عند ورش من طريق الأزرق تتلخلص فيما يأتي[30]:

أولا: حالات الترقيق والتفخيم.

أ - ترقق الراء إذا كانت مكسورة مطلقا؛ سواء في أول الكلمة مثل: ﴿رزقا﴾، أم في وسطها مثل: ﴿فريضة﴾، أم في آخرها حال الوصل، مثل: ﴿الأكبرِ﴾، ولا يستثنى من هذه القاعدة شيء بل هي مرققة عند جميع القراء قولا واحدا.

ب - ترقق الراء إذا كانت مفتوحة، أو مضمومة، أوساكنة، وسبقت بكسرة أصلية في كلمة واحدة، وصلا ووقفا، نحو: ﴿سراعا﴾، و﴿كراما﴾ في المفتوحة، و﴿يبشرهم﴾، و﴿تسرون﴾ في المضمومة، و﴿فرعون﴾ و﴿مرية﴾ في الساكنة.

ويستثنى من هذه القاعدة ما يأتي:

* إذا كانت الراء ساكنة؛ وسبقت بكسرة عارضة مثل: ﴿ أم ارتابوا﴾، أو سبقت بهمزة وصل، مثل: ﴿ارجعوا﴾.

* إذا كانت الراء ساكنة؛ وجاء بعدها حرف استعلاء - ولو كانت مسبوقة بموجب الترقيق - نحو: ﴿مرصادا﴾، ﴿فرقة﴾.

* إذا كانت الراء مفتوحة، أو مضمومة؛ وسبقت بكسرة ليست من أصل الكلمة، نحو: ﴿برسول﴾ ﴿لرقيك﴾، ﴿الذي رزقنا﴾.

* إذا كانت الراء مفتوحة أو مضمومة وتكررت مثل: ﴿ضرارا﴾ في المفتوحة، و﴿الفرار﴾ في المضمومة.

* إذا كانت الراء مفتوحة وجاء بعدها حرف استعلاء - ولو حال بينها وبينه ألف لينة - مثل: ﴿الفراق﴾ ﴿الصراط﴾.

* إذا كانت مفتوحة في اسم أعجمي، مثل: ﴿إرم ذات العماد﴾.

ج - ترقق الراء إذا سبقت بياء ساكنة في كلمة واحدة؛ وصلا ووقفا، مثل: ﴿ نذير﴾، ﴿نذيرا﴾، ويسمى هذا السكون سكونا ميتا، ونحو: ﴿ خير ﴾، ﴿ خيرات ﴾، ويسمى هنا سكونا حيا.

ولا يستثنى من هذه القاعدة شيء إلا لفظ ﴿حيران﴾، ولكنه روي بالوجهين[31].

د - ترقق الراء المفتوحة والمضمومة إذا سبقها حرف ساكن من حروف الاستفال، وكان قبله كسر، نحو: ﴿إسرافنا﴾، في الراء المفتوحة، و﴿ عشرون﴾، في الراء المضمومة.

ويستثنى من هذه القاعدة ما يأتي:

* لفظ ﴿إخراج﴾، يقرأ بالترقيق مع أن الساكن الحائل بين الراء والكسرة ليس من حروف الاستفال، لأن استعلاء الخاء ضعفت قوته بالسكون.

* إذا كان الحرف الساكن الحائل بين الراء والكسرة، أحد حروف ثلاثة، وهي: الصاد والطاء والقاف، فالصاد مثل: ﴿إصرا﴾، والطاء مثل: ﴿فطرت الله﴾، والقاف مثل: ﴿وقرا﴾.

تنبيه: إن الجامع بين هذه الحروف الثلاثة: الصاد والطاء والقاف، هو صفة الاستعلاء، وإنما ذكرت هذه الثلاثة فقط دون غيرها من حروف الاستعلاء السبعة، وهي: الظاء والضاد والغين؛ لأنه لم يرد بها المثال في القرآن الكريم، وأما الخاء فقد سبق بيان حكمه.

* إذا كان بعد الراء - المسبوقة بساكن قبله كسر - حرف من حروف الاستعلاء، مثل: ﴿إعراضهم﴾.

* إذا كانت الراء - المسبوقة بساكن قبله كسر - في الأسماء الأعجمية الآتية: ﴿إبراهيم﴾، ﴿عمران﴾ ﴿إسرائيل﴾.

* إذا جاءت الراء - المسبوقة بساكن قبله كسر - مكررة، مثل: ﴿مدرارا﴾.

هـ - ترقق الراء إذا أميلت الألف التي بعدها، نحو: ﴿ يتوارى﴾، ﴿ سكارى﴾.

ويستثنى من هذه القاعدة ما يأتي:

* إذا وصلت بما بعدها ولقيها ساكن، نحو: ﴿فترى الذين﴾، ﴿وقالت النصارى الميسح﴾.

أما "**ذكرى الدار**"، ففيها الوجهان عند الوصل، والمقدم هو الترقيق.

قال ابن بري: **والخلف في وصلك ذكرى الدار ورققت في المذهب المختار**[32]

* ترقق الراء الأولى من كلمة: ﴿ بشرر﴾، بالمرسلات، لأجل الراء الثانية **وصلا ووقفا.**

قال ابن بري: **ورقق الأولى له من بشرر ولا ترققها لدى أولي الضرر**[33]

ثانيا: الحالات التي يجوز فيه الوجهان.

أ - كل اسم على وزن فعلا، لامه راء، وحال بين فائه ولامه ساكن مستفل[34]، ومظهر[35]، وهذه الأسماء هي: ﴿سترا﴾، ﴿وزرا﴾، ﴿صهرا﴾، ﴿إمرا﴾، ﴿حجرا﴾، ﴿ذكرا﴾، ولا يوجد في القرآن غيرها.

يصح فيها الوجهان، والمقدم هو التفخيم وصلا ووقفا.

وإذا اجتمعت هذه الكلمات مع مد البدل فالمقروء به لورش خمسة أوجه:

مد البدل	الراء من باب سترا
القصر	الوجهان
التوسط	التفخيم
الطول	الوجهان

والوجه الممتنع: هو ترقيق الراء مع توسط البدل.

ب - تفخم الراء وترقق كذلك في الكلمات الآتية :

* **لفظ ﴿حيران﴾**: فمن رقق الراء هنا حملها على القاعدة؛ وهي ورودها بعد ياء ساكنة، ومن فخمها فقد حملها على لفظ ﴿عمران﴾، قال ابن بري:

والسير والطير وفي حيران خلف له حملا على عمران[36]

والوجه المقدم: هو التفخيم.

* **لفظ ﴿فرق﴾**: اختلف فيه - عند الوصل - لضعف حرف القاف المكسور، فمن فخم الراء اعتبر حرف الاستعلاء مطلقا، ومن رققها نظر إلى ضعفه بالكسر، والوجه المقدم هو الترقيق.

وأما عند الوقف بالسكون فلا خلاف في تفخيمه، ولم يختلف في كلمتي: ﴿فرقة﴾ و﴿الفراق﴾، لا وصلا ولا وقفا، وإنما تفخمان وجها واحدا، لأن القاف جاءت قوية بالفتح.

* **أما كلمة ﴿الاشراق﴾**: فاختلف فيها عند ورش - حالة الوصل- من غير طريق الشاطبية، أما من طريق الشاطبية فالمقروء به هو التفخيم فحسب، قال الشيخ عبد الفتاح القاضي: "فيه لورش التفخيم فقط لوجود حرف الاستعلاء بعده وهذا هو المقروء به من طريق الشاطبية"[37].

ثالثا: حكم الراء عند الوقف.

إن من المعلوم في مسألة الوقف والابتداء عند العرب؛ أنهم لا يبتدئون بساكن، ولا يقفون على متحرك والمقروء به في القرآن العظيم عند الوقف، ثلاثة أحكام: **السكون**؛ ويندرج تحته الإبدال والحذف، **والرَّوْم والإشمام**.

قال ابن بري:

القـــول فـــي الوقـــوف بالإشـــمام والـــروم والمرســـوم فـــي الإمـــام
قـــف بالســـكون فهـــو أصـــل الوقـــف دون إشـــارة لشـــكل الحـــرف
وإن تشـــأ وقفـــت للإمـــام مبيّنـــا بـــالرَّوْمِ والإشـــمام
فـــالرَّوْمُ إضـــعافك صـــوت الحركـــه مـــن غيـــر أن يـــذهب رأســـا صـــوتُكَهْ
يكـــون فـــي المرفـــوع والمجـــرور معـــا وفـــي المضـــموم والمكســـور
ولا يُـــرى فـــي النصـــب للقـــراء والفـــتح للخفـــة والخفـــاء
وصـــفة الإشـــمام إطبـــاق الشـــفاه بعـــد الســـكون والضـــريرُ لا يـــراه
مـــن غيـــر صـــوتٍ عنـــده مســـموعِ يكـــون فـــي المضـــموم والمرفـــوعِ[38]

وجملة أحوال الراء عند الوقف - من حيث التفخيم والترقيق - بناء على هذه الأحكام ما يلي:

أ - الوقف بالسكون:

* **ترقق** - كحالة الوصل - إذا سبقها **كسر**، نحو: ﴿بصائر﴾، أو **ياء ساكنة**، نحو: ﴿لا ضير﴾، أو **حرف ممال**، نحو: ﴿الجار﴾.

* **وتفخم** فيما عدا هذه الحالات، دون اعتبار حكمها وصلا.

أما كلمتا: ﴿القطر﴾ و﴿مصر﴾، ففيهما الوجهان، قال المارغني: « أخذ جماعة من أهل الأداء فيهما بالتفخيم لجميع القراء، وأخذ آخرون بالترقيق للجميع، واختار العلامة ابن الجزري في ﴿مصر﴾ التفخيم، وفي ﴿القطر﴾ الترقيق، والمقروء به عندنا التفخيم فقط في ﴿مصر﴾، والوجهان في ﴿القطر﴾ »[39].

والضابط في اختيار ابن الجزري، هو اعتبار حالة الوصل.

ب - **الوقف بالروم:** حكمها كحكمها في حالة الوصل، لأن فيه النطق بجزء من الحركة.

ج - **الوقف بالإشمام:** حكمها كحكمها في حالة الوقف عليها بالسكون، لأن الإشمام هنا لا يؤدَّى إلا بعد إتمام السكون.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة القصيرة الممتعة بمعية الرفقة الطيبة من أقوال العلماء ومذاهبهم، أجدني قاربت الوصول إلى نهايتها وقد حصّلت شيئا من الفوائد والنتائج؛ أذكر أهمها وبعض التوصيات والمقترحات:

- لا يوجد ذكر لمصطلح "التجويد" في القرآن الكريم كله، إنما نجده يأمر بالقراءة وبالتلاوة وبالترتيل ولذلك ينبغي أن يسمى هذا العلم باسمه المنتزع من مجموع ما ذكر في القرآن الكريم.

- إن موضوع قواعد التّرتيل لا يقتصر على الكلمات القرآنية فحسب، بل هو أوسع من ذلك وأشمل، وإنه يطال الحرف العربي حيث ما وقع، في القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو في الكلام العربي؛ نثره وشعره.

- لقد تميز القرآن الكريم عن اللسان العربي -باعتبار المستوى الصوتي- بأربعة أشياء: بتطويل زمني المد والغنّة، وبالسّكت، وبالتّغيم.

- بعد الاطلاع على بعض ما كتب في قواعد الترتيل عامة، وباب التفخيم والترقيق خاصة، تبين أن القراء كانوا أوسع منهجا في عرضهم هذا الباب.

- يعدّ باب تفخيم الحروف وترقيقها من أهم أبواب علم التجويد، وذلك لكثرة دورانه في ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ لا يخلو أي حرف من هاتين الصفتين، وهو أبرز أبواب علم التجويد التي يمكن من خلالها بيان أثره في حفظ اللسان العربي على المستوى الصوتي، وذلك لكثرة اللحن فيه، خاصّة عند قراءة النصوص العربية؛ نثرا وشعرا، إذ لا يكاد يخلو كلام الناس من اللحن في هذا الباب، وبالتالي فإن فائدة هذا الباب واضحة في تقويم ذلك اللحن، وإن أثره جلي في تحسين مستوى النطق.

– إن قواعد الترتيل هي المحور الأساسي في المحافظة على النطق العربي الصحيح، لأن أبواب النحو لا تخرج على ما يعرض للحرف الأخير من تغير الحركات الإعرابية في الكلمات، ولأن أبواب الصرف لا تخرج عن بيان اشتقاق الكلمة، ولأن أبواب البلاغة لا تخرج عن نظم الكلام وبيان مواطن الحسن فيه، وأما قواعد الترتيل، وأبواب التجويد، فتدرس أحوال الحرف أينما وقع، وكيفما وقع، والحرف هو الوحدة الأساسية للنص العربي.

قائمة المصادروالمراجع

- المصحف الشريف.

- أحكام قراءة القرآن الكريم، للشيخ المقرئ محمود خليل الحصري، ضبط نصه وعلق عليه: محمد طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة 1417هـ / 1997م.

- أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري، دار صادر، بيروت – لبنان ، طبعة 1399 هـ.

- أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات لأحمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ/2001م.

- أصوات اللغة لعبد الرحمن أيوب، مطبعة دار التأليف – القاهرة، الطبعة الأولى 1963م.

– البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة، للشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي، مراجعة الشيخ صبري رجب كريّم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م.

– التجويد المصور، للدكتور أيمن رشدي سويد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية دمشق - سورية، د ت ط.

– التمهيد في علم التجويد، للإمام أبي الخير محمد بن الجزري، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى 1405 هـ / 1985 م.

- الخصائص لابن جني، تحقيق: علي النجار، دار الكتب المصرية، طبعة 1952م.

– العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: إبراهيم السمرائي ومهدي المخزومي منشورات وزارة الثقافة العراقية، طبعة 1982م.

- القانون في الطب لأبي علي الحسين بن علي المشهور بابن سينا [428هـ]، وضّح حواشيه محمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ / 1999م.

- الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، طبعة 1375.

– المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع، للشيخ عبد الرحمن الثعالبي[857هـ]، تحقيق: محفوظ بوكراع وعمار بسطة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع – الجزائر، الطبعة الأولى 2011 م.

– المختصر الجامع لأصول رواية ورش عن نافع، للدكتور عبد الحليم قابة، دار البلاغ للنشر والتوزيع، باب الزوار – الجزائر، طبعة 1435 هـ / 2014م.

- الموضح في وجوه القراءات وعللها، لابن أبي مريم الفارسي، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، اعتنى بطباعته الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى 1414 هـ / 1993م.

– النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، للشيخ إبراهيم بن أحمد المارغني، دار الإمام مالك، الطبعة الأولى 1434 هـ/ 2013م.

– جهد المقل، لمحمد بن أبي بكر المرعشي، الملقب بساجقلى زاده[ت: 1150هـ]، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا – مصر، طبعة 1426هـ/ 2005م.

- قواعد التجويد وأثرها في المعاني والأحكام، للدكتور أحمد شرشال، دار ابن الحفصي للطباعة والنشر الطبعة الأولى 2011م.

- مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق – سورية، الطبعة الثالثة 1429هـ/ 2008م.

– مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، دار الكتب، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1997م.

– منظومة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، لأبي الحسن علي ابن بري [ت: 730هـ]، تحقيق: الدكتور عبد الحليم قابة، مكتبة التوفيق، باب الزوار – الجزائر، الطبعة الأولى 1422هـ/ 2001م.

– منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، لأبي الخير محمد بن الجزري [ت:833هـ] تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور أيمن رشدي سويد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى 1434هـ/ 2013م.

- نشر القراءات العشر، للحافظ ابن الجزري، تحقيق: الدكتور أيمن رشدي سويد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى 1439هـ/ 2018م.

- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، للشيخ المقرئ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، دار الفجر- المدينة المنورة، الطبعة الأولى 2001م.

(1) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري، مادة "رتل"، والعين للخليل، 113/08.

(2) ينظر: الموضح لابن أبي مريم، 104/01.

(3) ينظر: أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات لأحمد محمود عبد السميع الحفيان، ص: 159.

(4) ينظر: أصوات اللغة لعبد الرحمن أيوب، ص: 72، 77.

(5) القانون في الطب لابن سينا، 253/02.

(6) ينظر: الكتاب، 433/04.

(7) ينظر: الخصائص لابن جني، 33/01.

(8) ينظر: مبادئ اللسانيات لأحمد محمد قدور، ص: 86.

(9) ينظر: قواعد التجويد للدكتور أحمد شرشال، ص: 07-08.

(10) ينظر: نشر القراءات العشر لابن الجزري، 693/01.

(11) موضوع قواعد الترتيل أو موضوع علم التجويد كما اشتهر في كتبهم.

(12) أحكام قراءة القرآن الكريم، ص: 25.

(13) ينظر: هداية القاري، 46/01.

(14) ينظر: قواعد التجويد للدكتور أحمد شرشال، ص: 10-11.

(15) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص: 08.

(16) جهد المقل، ص: 10.

(17) ينظر: التجويد المصور للدكتور أيمن رشدي سويد، ص، 155-156.

(18) منظومة المقدمة الجزرية، ص: 03.

(19) منظومة الدرر اللوامع، ص: 74.

(20) حكاه الثعالبي – في مختاره – عن أبي شامة، ينظر: المختار من الجوامع، ص: 346.

(21) ينظر: التمهيد لابن الجزري، ص: 90.

(22) ينظر: التجويد المصور للدكتور أيمن رشدي سويد، ص: 158.

(23) المرجع نفسه، ص: 158.

(24) ينظر: التمهيد لابن الجزري: ص، 91.

(25) ينظر: المختصر الجامع للدكتور عبد الحليم قابة، ص: 54.

(26) ينظر: النجوم الطوالع للمارغني، ص: 263.

(27) قال المارغني: "ومعنى تغليظ اللام: تسمينها أي: جعلها سمينة جسيمة...ويرادفه التفخيم، غير أن التفخيم غلب استعماله في باب الراءات، والتغليظ غلب استعماله في باب اللامات" ينظر: المرجع السابق، ص: 263.

(28) وهذه السور هي: طه، النجم، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الليل، الضحى، العلق.

(29) ينظر: النجوم الطوالع للمارغني، ص: 237.

(30) ينظر: المختصر الجامع للدكتور عبد الحليم قابة، ص: 59-66.

(31) سيأتي ذكره مع ما يجوز فيه الوجهان.

(32) منظومة الدرر اللوامع، ص: 47.

(33) المرجع نفسه، ص: 50.

(34) يخرج بهذا الساكنُ المستعلي، نحو: ﴿وقرا﴾، والذي تفخم فيه الراء وجها واحدا.

(35) يخرج بهذا الساكنُ المدغم، نحو: ﴿سرّا﴾، والذي ترقق فيه الراء وجها واحدا.

(36) منظومة الدرر اللوامع، ص: 48.

(37) البدور الزاهرة، ج: 02، ص: 763.

(38) منظومة الدرر اللوامع، ص: 55-56.

(39) النجوم الطوالع، ص: 259-260.